

التبيان في تفسير القرآن

(180) (*) وقوله " والكتاب " خفض بالقسم. وقيل: تقديره ورب الكتاب، والمراد بالكتاب القرآن، والمبين صفة له وإنما وصف بذلك لأنه أبان عن طريق الهدى من الضلالة، وكل ما تحتاج إليه الأمة في الديانة. والبيان هو الدليل الدال على صحة الشئ وفساده. وقيل: هو ما يظهر به المعنى للنفس عند الإدراك بالبصر والسمع، وهو على خمسة أوجه: باللفظ، والحظ، والعقد بالأصابع، والإشارة إليه، والهيئة الظاهرة للجاسة، كالأعراض عن الشئ، والاقبال عليه، والتقطيب وضده وغير ذلك. وأما ما يوجد في النفس من العلم، فلا يسمى بيانا على الحقيقة وكل ما هو بمنزلة الناطق بالمعنى المفهوم فهو مبين. وقوله " أنا جعلناه قرآنا عربيا " اخبار منه تعالى أنه جعل القرآن الذي ذكره عربيا بأن يفعله على طريقة العرب في مذاهبها في الحروف والمفهوم. ومع ذلك فإنه لا يتمكن أحد منهم من انشاء مثله والاتيان بما يقاربه في علو طبقتة في البلاغة والفصاحة، أما لعدم علمهم بذلك أو صرفهم على حسب اختلاف الناس فيه. وهذا يدل على جلالة موقع التسمية في التمكن به والتعذر مع فقده. وفيه دلالة على حدوثه لأن المجعول هو المحدث. ولأن ما يكون عربيا لا يكون قديما لحدوث العربية. فان قيل: معنى جعلناه سميناه لأن الجعل قد يكون بمعنى التسمية. قلنا: لا يجوز ذلك - ههنا - لأنه لو كان كذلك لكان الواحد منا اذا سماه عربيا فقد جعله عربيا، وكان يجب لو كان القرآن على ما هو عليه وسماه ا ب اجميا أن يكون اجميا او كان يكون بلغة العجم وسماه عربيا ان يكون عربيا، وكل ذلك فاسد. وقوله " لعلكم تعقلون " معناه جعلناه على هذه الصفة لكي تعقلوا وتفكروا في ذلك فتعلموا صدق من ظهر على يده. وقوله " وانه " يعني القرآن " في ام الكتاب لدنيا " يعنى اللوح المحفوظ